سِلْسِلَةُ : وُصُولِ التّهَانِي بِتَفْرِيغِ أشْرِطَةِ الشّيْخِ مُحَمّدِ بْنِ هَادِي (2)

محاضرةٌ بعنوان

" رِسَالَةٌ إلَى طَالِبِ العِلْمِ
فِي بَيانِ مَرَاتِبِ العِلْمِ
والعَمَلِ بِالقَوَاعِدِ "

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

– حفظه الله تعالى –

المُدرِّس في الجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

أُلقيت في مسجد بدري العتيبي – رحمه الله –

بالمدينة النبوية

(الثلاثاء 16 ربيع الآخر 1439هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين ، أما بعد .

فيا معشر الإخوة الكرام ، **يا معاشر طلبة العلم** ، إنَّ مراتب العلم ثلاثٌ ، **المرتبة الأولى : مرتبة علم اليقين** ، وعلمُ اليقين هذه تقوم على أخبار الثقات الصادقين ؛ الضابطين الذين تتوفر فيهم شروط القبول ، عدالةً وضبطاً ، فالعدالة في الدين : استقامة الدين والمروءة .

والضبط : أن يكون ضابط ، ومؤتمن في نقله ، فإذا جاء ضبطه مع أمانته في النقل فهذه الأخبار التي تأتي من طرق هؤلاء هي التي تفيد العلم ، قسم الضبط وقسم العدالة ، فالعدالة شيءٌ ، والضبط شيء ، وقد يكون حافظاً ضابطاً لكنه كذّاب ، فلا ينفعه ذلك ، وقد يكون صادقاً أميناً لكن في حفظه شيء فيُقبل منه ، وقد يكون ضعيفَ الحفظ ، فيُنتَظَرُ به حتى يأتيَ ما يجبره ، فيقبل أيضاً حديثه إذا انجبر بجابر على ما بينّه أهل العلم في هذا .

والحاصل أن علم اليقين : ما قام على الأخبار الصحيحة الثابتة المقبولة ، فهذا هو علم اليقين .

والمرتبة الثانية : عين اليقين ؛ ما تراه أنت بعينيك مِنَ المُخبِرَ عنه ، أو ما نُقل إليك من الأشياء ، ثم رأيتها أنت بنفسك بعينيك ، فهذا عين اليقين ، لا تشكُّ في وجوده ، كما أن المرتبة التي قبل هي علم اليقين لا تشكُّ في ثبوته ، فإذا عاينته لم تشكُ في وجوده ، فإذا حصلت المرتبة الثالثة ، فهي أعلى المراتب .

حقُّ اليقين : وهي أن تعانيَ الشيء أنت بنفسك .

ويضربون له مثالاً قديم ، وقيسوا عليه أنتم ، فالأول كأن يخبرك العدل الصادق بأن أمامك في الطريق نهر ؛ وصفه كيت وكيت وكيت ، فأنت تُصدِّقه ، وتوقن بأنَّ في الطريق التي أنت تسير فيها نهر ولّا لا ؟ تصدّقه ولّا لا ؟ طيب ، فإذا

مَشيت ووصلت إلى النهر واقتربت منه زادت الثقة ولّا لا ؟ فإذا وصلت حافّته ورأيته بعينك ماذا يحصل ؟ عين اليقين ؛ رأيته بأم عينيك ، فإذا شَربت منه ، وذقت حلاوته وبرودته ، فهذا هو حق اليقين ، **فالعلوم هكذا ، نقلٌ مصدّق ، فإذا رأيته أنت بنفسك فهذا علمٌ محقق** ، فإذا باشرته بنفسك وتعلّمته وعرفتَه وطبّقته ، فاليقين في حقك قد تحقق .

ومع هذا كله – للأسف – ، ويا أسفاه ، كثير من طلبة العلم يعاني هذه المسائل على هذا النحو ، ويباشرها هو بنفسه ، ويسمع من المشايخ شرحهم لهذا العلوم التي قُرأت عليهم ، إما منه أو بغيره وهو يسمع ، ويبيّن المشايخ هذا العلم ، ولكن إذا خرج من الدرس وجاءت عاصفة عصفت به ، كأنه لا يتعلم ، فما كأنه إلا من عامة الناس ، ما فُضِّل عليهم بعلم .

وأضرب لكم مثالاً من الواقع : باب الجرح والتعديل ؛ ولكن فيه صُرحاء صادقين ، كم يعالج الآن طلاب العلم الجرح والجرح ، ويقرأون في الجرح ، ويحضرون دروس المصطلح في الجرح والتعديل ، وقوانين الرواية ، و . . و . . و . . و . . قل ما شئت ، فإذا جاء أول عاصف ما رأيت هؤلاء الذين بالأمس قد دوّخوك بكثرة السؤال والكلام والشرح لهم إلا كأنهم عوام تحت الصفر ، ما يعرفون كيف التطبيق ، مع أنك شرحت ، وبيّنت ، ومثّلت ، وطبّقت ، وكأنَّ الفائدة هذه ما وُجدت أبداً ، فهذا يدل على ما ؟ على عدم العلم حقيقةً .

فاليوم نرى ونسمع العجائب في هذا الباب ، واحد يُجرِّح ، وثاني يُعدِّل ، طيب .

جاءت مرحلة قالوا : الجرح مقدّم على التعديل مطلقاً ، هو قول حُكي عن علماء الجرح ، محكي هذا هو القول المشهور ، لكن اسمع ما هو هذا الكلام .

الكلام القول بالجرح مقدّم مطلقاً ، ما في كلمة تفسير ، لاحظوا ، ما في تفسير ، القول بالجرح مقدّم مطلقاً ولو عارضه ألف مُعدِّل ، وهذا موجود ، مكتوب ، منشور ، يُرى بالأعين ، ويُقرأ بالألسن ، طيب ، خلاص مشينا ، مع أنّ هذا الكلام ليس على إطلاقه ، ليس على إطلاقه ، لكن مشينا .

جاءت مرحلة أخرى ، جاء الجرح فيمن لا يُحبون أن يُجرح ، فقالوا : لا بد أن يكون الجرح مقابل التعديل مفسّر ! ، طيب ماشي ، هذا القول والله صحيح ، وهذا هو التحقيق ، لكنهم قالوه هنا ، لماذا ؟ لأنه جاء ماسّاً جانبهم ، تمام ؟

على الرأس والعين والرحب والسعة وحباً وكرامة ، جاء الجرح مفسّر ، قالوا لا ، يحتاج إلى تفسير ، طيب كيف ؟

أحمق يحتاج تفسير ! .

وشر يحتاج تفسير ! .

وكذّاب يحتاج تفسير ! .

وخذ من هذا القبيل ، فأنا ما أدري بأي لغة يتكلم المتكلم ؟

بالأمس هم يقولون أحمق ، ويقولون هذا جرح مفسّر ، اليوم أحمقنا ما هو مفسّر ، فباؤهم تجر ، وباؤنا لا تجر ، تمام ؟ طيب ، لا بد من التفسير .

جاء الجرح هكذا ، كذّاب ، أحمق ، شر ، قل ما شئت ، قالوا هذا ما هو مفسّر !

طيب ، خلاص يقابل بالتعديل ! قالوا هناك لا بد من التفسير ، جاء هنا التفسير ،

ما هو الحمق ؟ ما هو الكذب ؟ **حتى الكذب يا ناس يحتاج إلى تفسير ؟ !**

صوتياتهم موجودة بمثل هذا الكلام ، هكذا يقولون ، **كذّاب يا ناس يحتاج إلى تفسير ؟ !**

إيش معنى كذّاب ؟ مسجّل هذا الكلام ، مسجّل منهم هم ، الآن يحتاج كذّاب إلى تفسير ! !

أحمق مسجّل منهم هم ، الآن يحتاج إلى أحمق لأنه صدر منا إلى تفسير !

ما أدري إيش أحمق عندهم وإيش أحمق ؟

إذا كنا نتحدث بلغة عربية واحدة فأحمق في القواميس واحد ، وإذا أنت تتحدث بلغة عربية واحدة كذَاب في القواميس واحد ، تمام ؟ ماشي ، قالوا : لا ، هذا ما هو ، طيب ، بعدين ، قيل لهم هذا مفسّر ما استطاعوا ؛ **لأن العقلاء يعرفون** أنه إيش ؟ ذهبوا يقابلون حينئذٍ الجرح المفسّر بالتعديل ، وهذا خلاف ما أطبق عليه علماء الفن ، فعُلم أن الدعوى هوى، عُلم أن الدعوى هوى ، **ما هي تطبيق للعلم ، ولا لقواعد العلم .**

فعلى طلبة العلم أن يعرفوا ويضبطوا ، فإذا ضبطوا القواعد حاكمونا جميعاً إليها ، الله أكبر ، الآن نحن نقول قول مالك

ضعيف ، والراجح قول الشافعي ، قول الشافعي ضعيف والراجح قول أحمد ، وقول الجمهور ضعيف ، والراجح قول الشافعي ، وقول الشافعي وأحمد هنا مثلاً ضعيف ، والراجح قول مالك ، أو أبو حنيفة وهكذا ، **ما شاء الله الشجاعة برزت حتى مع الأئمة هؤلاء الجبال** ، الذين تبعتهم أمة الإسلام ، وفي الجملة ما خرجت عن أقوالهم ، وما في حُكم بين فلان وفلان ، فين الشجاعة ؟ وفين العلم ؟ وفين قواعد العلم ؟

حينئذٍ تعرفون – معشر الأحبة – أنَّ العلم هذا محله ، وهنا يظهر الصادق الذي تعلّم وطبّق ما تعلّم ، ويظهر الجاهل الذي لا علم عنده ، ويظهر الأجنبي عن الصناعة ، الذي يردد مثل الببغاء مقلِّد ، هذا لا كلام عليه ، ويظهر صاحبُ الهوى ، **ومن أعماه هواه فلا حيلة فيه** .

فالذي أوصيكم به – معشر الأحبة – وإياي : أن نطبّق القواعد العلمية التي أورثناها أئمتنا – رحمهم الله – على الصغير والكبير والجليل والحقير ، فحينئذٍ تنضبط الأمور ، أما إذا كانت المسألة هوىً وانتقام فلن ينضبط لنا شيء ، وإذا كان أيضاً كذلك فالعقلاء وأهل العلم العالمون العارفون المحققون ليسوا بأيدينا أبداً ، لن يمشوا إلا على القواعد ، ولن يُطبّقوا إلا القواعد ، شئنا أم أبينا .

فعليك يا طالب العلم ألا تفضح نفسك ، وتُظهِر أنك من ذوي الجهل والحماقة ، أو من أهل التقليد والهوى – عياذاً بالله من ذلك – .

أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يثبتنا جميعاً وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه ، كما أسأله سبحانه أن يورثنا علماً نافعاً ، وفقهاً في الدين ، وبصيرةً فيه ، وأسأله – جل في علاه – أن يصرف عني وعنكم وعن سائر إخواننا المسلمين في كل مكان مضلات الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، إنَّ ربنا لسميع الدعاء ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أتباعه بإحسان .